

أهمية نشاط المركزية الوطنية سنة 1956 في تدويل القضية الجزائرية

The importance of national central's activity in 1956 to internationalize the Algerian crisis

الدكتور : جيلالي تكران djilalitik@gmail.com

جامعة حسينية بن بوعلي - الشلف .الجزائر

تاريخ الإرسال: 2020-04-05 تاريخ القبول: 2020-05-03 تاريخ النشر: 2020-05-31

المخلص :

ادركت قيادة الثورة الجزائرية في الداخل ، أهمية تدويل القضية الجزائرية مبكرا عبر تحالفها مع المركزيتين : التونسية (UGTT) والمغربية (UMT) وانخراطها في لكونفدرالية الدولية للنقابات الحرة (CISL) ، لانجاح مساعيها عسكريا في الداخل و سياسيا الخارج ، من خلال الامر بتوسيع وتعميق نشاط المركزية الوطنية في القطاعات الحيوية للاقتصاد الاستعماري الفرنسي بالجزائر ، بالاضرابات السياسية في مواعيد تاريخية مهمة على مدار سنة 1956، معلنة تمسكها بالمطالب المهنية للطبقة العاملة والطموحات الوطنية للشعب الجزائري . اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج التاريخي، مستخدما التحليل والنقد والمقارنة لمسار الوقائع التاريخية وتطورها ، و في تفاعلها مع الجانب الفرنسي والهيئات النقابية الاقليمية والدولية ومع جبهة التحرير الوطني ، مستعينا بالمصادر التاريخية الجزائرية والمذكرات الشخصية للفاعلين في الحدث ، والارشيف الفرنسي بباريس ومرسيليا ، بالاضافة الى المراجع المتخصصة في تاريخ القضايا الاجتماعية والنقابية .وقفت في هذه الدراسة ، على مدى قدرة المركزية الوطنية على فتح نافذة على الساحة الدولية للقضية الجزائرية، بتبوء مقعد في الكونفدرالية الدولية للنقابات الحرة ، كان منبرا مهما في نقل الحقائق الميدانية للصراع الدائر في الجزائر الى العالم ،بعيدا عن المغالطات الصحفية الفرنسية ، وقيامها بتعبئة المجتمع المدني بالاضرابات والمظاهرات في المدن الكبرى بجانب جبهة التحرير الوطني ، لتنويع العمل الثوري وتوسيعه بمشاركة التنظيمات الاجتماعية : العمال ، الفلاحين ، التجار ، والطلبة ، واصباح صفة الشعبية على الثورة ،لتكذيب المزاعم الفرنسية التي تسوقها في المحافل الدولية ، وفضح سياستها القمعية تجاه الطبقة الشغيلة والمدنيين الجزائريين العزل .

الكلمات المفتاحية : المركزية الوطنية ، جبهة التحرير الوطني ، الكونفدرالية الدولية للنقابات الحرة ، القمع ، روبير لاكوست ، الاضراب ، مولود قايد ، عيسات ايدير .

Abstract:

The leadership of the Algerian revolution at home realized the importance of earlier internationalizing of the Algerian crisis , through its alliance with the two Meghreb's centrals: the Tunisian (UGTT) and the Moroccan (UMT) and its involvement at the International Confederation of Free Unions (CISL), to make its militarily efforts at home and those politically abroad, by ordering the expansion and deepening ,the National central's activity in vital sectors of French colonial economy in Algeria, by political strikes at important historical dates, throughout the year 1956, declaring its adherence to the professional demands of the working class and the Algerian people's national aspirations .

This study relied on the historical method, using analysis, criticism and comparison of the course of historical fact's development, and in its interaction with : the French side , regional side , besides international bodies and the National Liberation Front, using Algerian historical sources and personal notes of the actors in the event, and the French archives in Paris and Marseille, in addition to references specialized in the social history and union issues.

In this paper , I discover the extent of the national central's ability to open a window on the international scene about Algerian crisis , in gaining a main place at the International Confederation of Free Unions. An important platform in transferring the realities of the conflict in Algeria to the world, away from the French journalistic fallacies, and mobilizing the civil society by strikes and demonstrations in major cities alongside with the National Liberation Front, to diversify and expand the revolutionary work with the participation of social organizations: workers, peasants, merchants, students, exposing the popular characterization of the revolution, in order to deny the French allegations in international forums , And expose its repressive policy towards the defenseless Algerian working class and civilians.

key words : national central, national liberation front, international confederation of free unions, repression , robert lacost , strike , gaid moloud , aissat idir .

مقدمة :

بحلول سنة 1956 ،قطعت الثورة التحريرية شوطا نوعيا بالتحاق التيارات السياسية المترددة ، التي وفرت لجهة التحرير جهدا وطاقة نوعية اضافية ، وظفتها في مختلف هياكلها وانشطتها في الداخل والخارج ، كما كانت عاملا مساعدا في استدراك الجبهة تطوير ادوات العمل الثورية داخل المدن ، يخص هيكل المجتمع المدني في تنظيمات جماهيرية وتوظيفها في المقاومة ، وارضية لتوسيع وتوزيع الجهد الثوري بين كل فئات الشعب الجزائري عبر الوطن . عقدت الجبهة خيارها على تأطير الطبقة العاملة في

مختلف القطاعات الانتاجية العامة والخاصة في كل المدن الجزائرية داخل المركزية الوطنية التي انشئت في 24-02-1956 ، حيث بدأت في تكوين اتحاداتها المحلية والجهوية ، لضبط مواعيدها النضالية بالاضراب عن العمل ومساندة الثورة التحريرية ، رافعة مطالب مهنية وسياسية ، على مدار سنة 1956، مما جعلها عرضة للملاحقة والتعنيف والسجن من قبل الادارة الاستعمارية ، لكنها في المقابل اكسبت العمل الثوري صوتا دبلوماسيا في الكونفدرالية الدولية للنقابات الحرة ، وكشفت جرائم فرنسا من وراء الستار ، واصلتها لدول العالم ولحلفاء فرنسا في الغرب الراسمالي نفسه . ومما سبق ، جاءت اشكالية بحثنا هذا على النحو التالي : لماذا اعتمدت جبهة التحرير في مقامها الاول على المركزية الوطنية في تحقيق حضورها المبكر في هيئة نقابية و تحقيق نجاح دبلوماسي للثورة ؟ ولماذا كانت المراهنة على الطبقة الشغيلة دون غيرها من مكونات المجتمع ؟ وما مآلات استخدام الطبقة المهنية والحرفية والعمالية درعا للثورة ؟

1- نشاط المركزية الوطنية وسياسة روبيرت لاكوست القمعية :

أفرزت احداث ليلة اول نوفمبر 1954 ، تحولات عميقة في البنية الفكرية والسياسية والاجتماعية للشعب الجزائري بجميع فئاته و الذي تخلى تدريجيا عن الزعامات التقليدية والتحق بالتنظيمات التابعة لجبهة التحرير الوطني، المهنية والاجتماعية على غرار المركزية الوطنية (الاتحاد العام للعمال الجزائريين UGTA) والاتحاد العام للتجار الجزائريين والطلبة . عندئذ اصبحت طليعة هذه التنظيمات (المركزية الوطنية) في نظر الادارة الاستعمارية ، الوجه الاخر للجبهة التي اعتمدت تكتيكا جديدا في العمل الثوري يقضي باشتراك المجتمع المدني في الثورة بكل فئاته وخاصة المهنية منها ، بغرض تدمير الاقتصاد الفرنسي العام والخاص بالوسائل السلمية والقانونية دون الحاجة الى السلاح وداخل المدن الكبرى وفي مزارع الكولون نفسها وفك الارتباط بين الجزائريين والمستوطنين ، والابعاد التدريجي للجزائريين عن المؤسسات الاستعمارية ومعاداتها و احداث القطيعة معها ، ويذكر تقرير الامن الفرنسي " ان المركزية الوطنية اقوى بكثير من جيش التحرير الوطني ،لانه تحت حماية القوانين النقابية الفرنسية ناذ يمكن لعناصرها التجول بحرية في البلاد والقيام بحملة للانخراط في صفوفها واذا استطاعت المركزية تنظيم العمال الزراعيين فان جبهة التحرير عندئذ تملك وسيلة قانونية لتدمير المزارع الفرنسية ويمكن ايضا لجيش التحرير اصدار امرا للمركزية لشل الاقتصاد كليا في الجزائر "1. و في المقابل شكل نشاط المركزية الوطنية كحركة إجتماعية سلمية هدفا سهلا للقوات الفرنسية التي أقلقها هذا نشاط اللافت في الداخل والخارج بتعبئة الشعب والجالية الجزائرية بالمهجر في مظاهرات وإضرابات عديدة ، ولم يمض على ميلادها أياما معدودة وتسعى الى تبوء عضوية مهمة في نادي النقابات الحرة في أقل من 04 أشهر والخطر انها تتناغم في عملها مع أوامر الجبهة ، الامر الذي اثار سخط الحكومة العامة برئاسة لاكوست الذي شن اجراءات قمعية ضدها ، لاقت استنكارا دوليا وضغطا دبلوماسيا على فرنسا .

الى غاية 1956 ، هيمنت النقابات الفرنسية على العمل النقابي في الجزائر : الكونفدرالية العامة للشغل (CGT) ، الكونفدرالية الفرنسية للعمال المسيحيين (CFTC) والنقابات الحرة (SA) ، وكانت النقابة الاولى مجالا واسعا لانخراط الجزائريين فيها بنسبة 65 % والاوربيين 25 % . ودرست حركة الانتصار مشروع انشاء نقابة وطنية في مؤتمرها الاول 1947 وبقي المشروع يراوح مكانه لاسباب سياسية بحتة وقلة الخبرة الكافية لكنها اوصت اطاراتها النقابية في تعليمية داخلية في نوفمبر 1952 ، بإكتساح المناصب القيادية داخل الكونفدرالية العامة للشغل وابعادها عن التأثير الشيوعي² .

لقد تعاضمت قوة المركزية الوطنية وتوسعت افقيا وعموديا (جغرافيا وعدديا) ، اذ تم الاعلان عن ميلاد 71 نقابة من 1956-02-24 الى 1956-03-31 في مدة شهر و 06 أيام فقط ، وبلغ منخرطوها 110.000 عاملا ، وحصل ممثلوها في الانتخابات مؤسسة الترامواي (شركة النقل الحضري لمقاطعة مدينة الجزائر (RDTA) التي جرت في 1956-03-31 بمدينة الجزائر على 75 % من الأصوات المعبر عنها (566 صوتا) وقد حصلت المركزية الوطنية على 407 أصوات بما يناسب 12 مقعدا و الاتحاد العام للنقابات الجزائرية (UGSA) الشيوعية على 159 صوتا بما يعادل 06 مقاعد³ . لكن السلطات الرسمية الغت النتائج واقرحت توزيع المهام الادارية على النقابتين الفرنسيتين : القوة العمالية (FO) و الكونفدرالية الفرنسية للعمال المسيحيين (CFTC)⁴ ، دون اعطاء تفسير لاجرائها المتخذ ، واستغلالا لحالة الطوارئ ، قام الحاكم العام روبيرت لاكوست بالغاء النظام الانتخابي في الجزائر وارساء العمل بالتعيين الاداري بالتعاون مع الباترونا لتقديم مرشحها في اطار نقابتي القوة العاملة (FO) ونقابة العمال الفرنسيين المسيحيين (CFTC)⁵ المعاديتين للنقابات الجزائرية والوطنية والموليتين للادارة وارباب العمل على حساب العمال الجزائريين .

لقد حققت المركزية خلال فترة نشاطها العلني من 1956-02-24 الى تاريخ توقيف الأمانة الوطنية الأولى في 1956-05-24 ، في مدة ثلاث اشهر ، مكاسب غير مسبقة في الحركة النقابية بالجزائر و في ظرف قياسي شمل الإعلان عن التأسيس في البلدية ، وإيداع الملف، وعقد المؤتمر التأسيسي ، ودفع الاشتراكات، وتعيين المقر ، وتكوين الإطارات المحلية والجهوية ، وإنشاء جريدة الاتحاد "العامل الجزائري L'ouvrier Algerien" ، وتحضير ملف الانخراط في النقابة الدولية ، والتحضير للمظاهرات والإضرابات في الايام اللاحقة⁶ .

هذا النجاح المتزايد من يوم لآخر و في تناسق تام مع تطورات سياسية وعسكرية تقودها جبهة التحرير الوطني ، قد أقلق الحكومة العامة برئاسة الحاكم العام روبيرت لاكوست الذي صمم خطة لتفكيك المركزية الوطنية تدريجيا ، انطلاقا من وقف الاحتفالات الخاصة بعيد العالمي للعمال 1956 و إستهداف قيادة المركزية وأمانتها الوطنية الأولى ومصادرة العدد الثاني من جريدة " العامل الجزائري "بتهمة المساس بأمن الدولة الخاجي⁷ بعدما ظهر العدد الاول الصادر في 1956-04-06 ، دعوة صريحة للعمال

الجزائريين الى الاستقالة من النقابات الفرنسية والانخراط في المركزية الوطنية ، بعدما ما كانت تدعوهم في وقت سابق الى البقاء في الكونفدرالية العامة للشغل ، واخيرا ، إستهداف مقر الإتحاد كرمز للمركزية الوطنية والقضاء على الأمانة الوطنية الاولى ، ويبقى القمع مستمر .

ففي المرحلة الأولى تم إلقاء القبض في 24 ماي 1956 على 150 مسؤولا نقابيا وأعضاء الأمانة واللجنة التنفيذية والمكتب ، ونجا من عملية الاقتحام البوليسي مصطفى زيتوني ، محي الدين بورويبة ، محمد زيوي و07 آخرين من قيادة المركزية لأن الشرطة لم تعرف عناوينهم⁸ ، ومن الموقوفين أسماء قيادية بارزة : عيسات إيدر ، بوعلام بورويبة ، عبد العزيز حدادي ، علي يحي عبد المجيد ، عبد القادر عمراني⁹ بن عيسى عطا الله ، جرمان رابح ، لميني عمار ، حناشي معيوف (عامل بالأرصفة) وعبيد محمد ، حداث عبد العزيز ، منصوري رابح ، بورويبة حسان ويوسف بن علي¹⁰ وتحويلهم الى سجن البرواقية . ومما ساعد الشرطة في القبض على اغلب العناصر القيادية بهذه السهولة هو رجوعها الى ملف إعتقاد المركزية المودع بالبلدية ، حيث استخرجت منه عناوين الطاقم القيادي والإستعانة ايضا بالعدد الأول من جريدة " العامل الجزائري" التي أوردت قوائم الفروع النقابية المحلية والجهوية¹¹ .

وخص روبيير لاقوست¹² في برقية عاجلة إلى محافظ شرطة مدينة الجزائر فرانسوا كولافري (François Colavry) بتاريخ 26-05-1956 يدعو فيه الى القبض على عيسات إيدر ووضعه في سجن البرواقية¹³ بعدها حول الى مديرية حماية الإقليم بوهرا و أعيد ثانيا الى مدينة الجزائر ليستطلق من طرف نفس المديرية¹⁴

بغرض حر راس المركزية وامانتها الاولى ، ليتسنى التعامل مع بقية ملحقاتها البشرية والهيكلية . نظرا لفجائية الهجوم ،لم يكن بمقدور النقابيين إستخلاف الأمانة الأولى في ظروف الحرب ، ولم تكن هناك توصيات شفوية أو مكتوبة تركتها الامانة الوطنية الاولى للاحتياط ، وتركت الواقعة فراغا قاتلا ، وإرتبك الناجون من عملية الاقتحام حول كيفية الرد وبعث المركزية من جديد ، وحتى هؤلاء الناجون لا يمتازون بالأهلية لتحمل مسؤولية القيادة بشكل كاف¹⁵

وفي المرحلة الثانية ، انتقل القمع الى مصادرة جريدة المركزية الوطنية في عددها الثاني وهو تحت الطبع¹⁶ ، كون العدد الأول حقق مبيعات أفضل وأحدث صدی واسعا وسط الرأي العام والطبقة الشغيلة في الجزائر وخارجها ، مما لفت إنتباه الإدارة الاستعمارية الفرنسية ولم تقوت الفرصة لمنعه ، وفي العدد الثالث ليوم 08-06-1956 إحتجت إدارة الجريدة على إجراء المنع دون مبررات معلنة ، و الذي " اعتبرته المركزية تعد صريح على حرية التعبير ، و أن الحل السلمي في الجزائر ليس مستحيلا والأفضل هو العمل على تحقيق الصداقة بين الشعبين الفرنسي والجزائري بدلا من تعميق الهوة بينهما ؟ أم أن توجيه دعوة لكل النقابات الى العمال بمناسبة الفاتح من ماي لأجل الإحتفال بهذا اليوم من تاريخ الحركة

النقابية العالمية تعتبر جريمة يا سيد الحاكم العام ؟ وهل التنديد بالاضطهاد والمطالبة بالسلم يتعارض مع النظام الذي تودون تجسيده في الجزائر ؟¹⁷ .

وتواصل الجريدة إنتقاد سياسة الحاكم العام لأكوست وتناقضاته بالقول " إن مشكل السلم ومستقبل بلادنا يهم أولا مركزيتنا، وتعتبر الحكومة الفرنسية نقاش العالم حول السلم في الجزائر أمرا عاديا ، وترى الخوض فيه من طرف نهرو ، جمال عبد الناصر وتيتو وبولغانين سلوكا مباحا ، ولكن أن يتكلم الجزائريون عن أنفسهم في الموضوع فهو أمر غير مقبول ...إن الثورة القائمة في بلادنا نريدها لمصلحة العمال ، ونريد أن تعرف الطبقة العمالية الجزائرية التطور والديمقراطية ، وعندما يتكلم العالم عنا لا يمكننا أن نسكت وهو الأقل ما يجب علينا فعله ، هو المساهمة في الوفاق وإرساء جو الثقة لوضع حد للأحداث الأليمة ، وإقامة السلام في الجزائر ، الذي هو أمنية الشعب الفرنسي والجزائري معا "¹⁸ .

وفي خطوة غير مسبوقة ، اقدم لأكوست يوم 30-06-1956 على تفجير مقر المركزية الوطنية على الساعة 19 و45 دقيقة مساء بشارع الكاردينال لافيغري ، مقر الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري (UDMA) على رؤوس أعضاء الأمانة الوطنية الثانية لدراسة التحضير لإضراب 05-07-1956 على مرور 126 سنة على إحتلال الجزائر 05-07-1830، إبراز طابع التمثيل لأجل قبول عضوية المركزية الوطنية في الكونفدرالية الدولية للنقابات الحرة CISL¹⁹ وتشكيل جبهة من المحامين للدفاع عن النقابيين المعتقلين في شهر ماي 1956 ،وتحرير بيان باللغتين العربية والفرنسية يفضح الممارسات الاستعمارية اللاإنسانية أمام الرأي العام الداخلي والخارجي ، وضمان ديمومة صدور جريدة " العامل الجزائري " لإطلاع العمال والمواطنين على المستجدات وتوويرهم ردا على الهجمة الإعلامية للسلطات الاستعمارية ، والمصادقة على تشكيلة الأمانة الوطنية الثانية²⁰ ، واخيرا توزيع الحصص المالية على عائلات النقابيين والمناضلين الموقوفين ، ثم التشاور مع بن يوسف بن خدة كمثل للجبهة حيث تتلقى الاوامر لمواصلة سير العمل النقابي²¹ .

بعد الانفجار ، داهمت الشرطة مقر المركزية واستولت على محتوياته وممتلكاته وقبضت على الأشخاص المتواجدين بداخل المقر (مسؤولين ونقابيين آخرين)²² وخلف الانفجار 17 جريحا ، جراحهم متفاوتة الخطورة ، وتم حجز أرشيف المركزية ، الأموال ، وآلة الكتابة²³ وقبض على 100 مناضل وحوصر المقر لمدة 20 يوما²⁴ وسلط على الموقوفين الإستتطاق والتعذيب لمدة 08 أيام في سجن البرواقية²⁵ وشرعت السلطات الفرنسية في إجراء تحقيق حول أسباب الانفجار الذي نتج عن شبهة وضع قنبلة، او احتمال تسرب للغاز²⁶؟ هي أسئلة التفاضلية تمويلية للقوات الفرنسية ،في تبرير إقتحام المقر وضرب المركزية وتمكين عناصر متطرفة من تفخيخ المبنى وقتل من فيه واخلاء المسؤولية عن قواتها الامنية .

وفي نفس السياق ، يشير تقرير الشرطة الى أن عدد الجرحى بلغ ثمانية أشخاص هم كالتالي :
بوخلوى بوخميس، زيري محند ، دليسي مصطفى ، لونيس عبد القادر ، بلحش رابح ، تيغوزة أحمد ،
منصور محند،خالفة بلقاسم ، تم تحويلهم الى مستشفى مصطفى باشا تحت حراسة مشددة لشرطة الدائرة
الثالثة وتم إيقاف 17²⁷ مشبوها من طرف دورية الشرطة وإستطاقهم ، ويوجد بين الجرحى أو الموقوفين
قياديين نقابيين في المركزية كانوا يحضرون بيان الإضراب العام المزمع تنظيمه يوم 05-07-1956
منهم محمد فليسي²⁸ ، بالإضافة الى عناصر منها لعسل مصطفى²⁹ ، وبرنان عمار ، وجفال رابح ،
وبلخضر رابح بن عباس ، و كربوش حسان بن حمو (هذين الأخيرين ذكرا على أنهما كانا يتبضعان في
مؤسسة Andre شارع Boutin) ، و سحبت 500 نسخة من بيان الإضراب في مقر الاتحاد الديمقراطي
للبيان الجزائري ، وزعت منها 300 نسخة في الفروع النقابية بالمؤسسات³⁰ بمعنى ان 60 % من بيان
الاضراب قد وزعت على الاتحادات المحلية للدخول في الاضراب .

تولت الأمانة الوطنية الثالثة ، المهمة بعد إلقاء القبض على عناصر الأمانة الوطنية الثانية ،
وتشكلت الأمانة الجديدة من : أحمد زيتوني (البلديات) ، محي الدين بورويبة (السكة الحديدية) ، عبد
القادر علال (المعلمون) ، محفوظ زفوني (شركة التبغ) ، عبد النور على يحي (المعلمون)³¹ ، دكار
رحمون ، وجيلاني مبارك³² . و عملت على تحضير وتنظيم إضراب 05-07-1956 تضامنا مع
المعتقلين وتمكين الوفد من التفاوض مع ممثلي اللجنة التنفيذية للكونفدرالية الدولية للنقابات الحرة ،
وإتخذت إحتياطات قاسية لمباشرة النشاط السري للمركزية بتغيير المقر وتكليف المعلمين بالجريدة للقيام
بإنجاز وثائق التعريف والشهادات المهنية للمناضلين الذين هم على أهبة للسفر هربا من بطش القوات
الفرنسية³³ ، حيث غير القائمون على شؤون المركزية مقرهم الى Cercle du Progrès بساحة الحكومة
، والعمل بجهد لإعادة بعث نشاط المركزية النقابية و تعزيز التعاون الوثيق مع الجبهة حول كيفية
التعامل مع التطورات الحاصلة ، ليكون العمل منسقا وموازيا للعمل الوطني في أبعاده الكلية في الداخل
والخارج ، وهذه العلاقة العضوية هي من كانت محل بحث للاثبات و جعلت السلطات الفرنسية تعلن
حربا ضد المركزية النقابية والقبض على مناضلين ثبت من مسار التحقيق أنهم يؤدون مهمات مختلفة
لصالح الجبهة وهي التهمة التي اكتفت بها السلطات الفرنسية لتبرير قمعها للنقابيين والعمال الجزائريين ،
وتبرهن على صدق ظنونها من استتطاق النقابي أحمد غرمول ، مراقب بالترامواي بمدينة الجزائر³⁴ الذي
أقر بانه اتصل به بوزرينة حديدوش مسؤول الأفواج المسلحة بالمدينة لتشكيل فريق يجمع الأموال لصالح
الجبهة وسط عمال الترامواي ، وبعدها سلم غرمو المبلغ في مارس 1956 و القيام بالدعاية وسط عمال
الشركة للاضراب يوم 05-07-1956 وتمكينه من فوجين مسلحين مكلفين بالإشراف على السير الحسن
للاضراب³⁵ .

2- اضرابات 1956 وأبعادها الدولية :

يستعمل الإضراب لدى النقابات عبر دول العالم ، في السلم أو الحرب ، كأسلوب ضغط على الحكومة أو الباترونا ، لتحقيق المطالب الاجتماعية والاقتصادية ، ونادرا ما ترفع مطالب سياسية مما يجعلها تصنف ضمن الحركة المطلبية العادية والمزمنة . أما المظاهرات والإضراب في حالة الحرب ، فإن سقف المطالب العمالية يتجاوز المطالبة بالحقوق الاجتماعية والاقتصادية الى حقوق سياسية ، وهو التصنيف الذي ينطلي على المركزية الوطنية الامر الذي جعل نشاطها يوصف بالسياسي المحض ، وعندئذ يكون التعامل معه أكثر عنفا ودموية ، وتتعت بالعصيان والتمرد- في نظر حكومة المستعمر - يتوجب توظيف أساليب قمعية في مستوى التوصيف ومن جهة الجبهة يتطلب إصرارا واستمرارا على تحقيق النصر .

شاركت المركزية الوطنية في كل الإضرابات السياسية لسنة 1956 إنطلاقا من 05 جويلية ، وفي شهر أوت 01 نوفمبر³⁶ وفي شهر ديسمبر . وشكل الإضراب منعرجا حاسما في تاريخ الثورة الجزائرية ، إذ لأول مرة نجحت المركزية الوطنية في تعبئة اليد العاملة يوم 05-07-1956 معلنة ذلك ببيان³⁷ صادر عن الامانة الوطنية ، يحرض فيه الجزائريين على الاستجابة للنداء ، مذكرة إياهم بشتى أنواع القمع والإهانة التي طالت الشعب بجميع فئاته المهنية ، والمطالبة بحقوقهم في الإصلاح الزراعي وتنظيم ساعات العمل في كل القطاعات بما فيها الفلاحة وحل مشكل البطالة وترقية شبكة الأجور وفق معايير متساوية بين الأوروبيين والجزائريين ، في الجزائر وفرنسا ورفع المستوى المعيشي للطبقة الشغيلة بشكل عام³⁸ .

وقد ساند الإضراب كل من الاتحاد العام للتجار الجزائريين والاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين ، مما حقق نجاحا باهرا³⁹ ، تؤكد نسبة العمال الذين لبوا نداء الإضراب في مختلف القطاعات المهنية وعبر العديد من المدن الكبرى . ففي مدينة تيزي وزو أضرب عن العمل 776 عاملا جزائريا مقابل إمتناع 57 عاملا⁴⁰ وبلغت نسبة الإضراب حاليًا 93.15 % وهي نسبة معتبرة ومقلقة للسلطات الفرنسية حول نقابة فنية لم يمض على ميلادها سوى أربعة أشهر وعشرة أيام فقط⁴¹ ، كما أن مدنا أخرى قد حققت نسبة متساوية في الإضراب بمدينة الجزائر ووهران وغيرهما .

وقد افردت المصالح الامنية الفرنسية احصاءات دقيقة عن عدد المضربين في كل القطاعات والمدن منذ فجر الخميس 05 جويلية 1956 ، اذ ذكرت تلك المصادر ان مدينة الجزائر مشلولة كاملة في قطاعاتها الانتاجية ، وشوارعها خالية من المارة من الساعة الخامسة الى العاشرة صباحا ، فوسائل النقل الحضرية (RDTA) متوقفة تماما ماعدا السائقين الفرنسيين التابعين للكونفدرالية العامة للشغل (CGT) الذين حاولوا فك الشلل الذي ضرب معقل الادارة الاستعمارية ، وغاب عمال النظافة من الجزائريين 100 بالمائة ، المخابز مغلقة في بلكور والاسواق في حسن داي ، العناصر ، بئر خادم وبئر مراد رايس ،

القبلة دون حركة الا من الاوربيين وبعض المحلات الميزابية التي فتحت تحت الضغط والاكراه والتهديد بنقلهم الى محتشد سانت اوجان Saint-Eugen⁴².

في مصنع الكبريت الذي يشغل 250 عاملا ، منهم 90 جزائري غاب يوم الاضراب 89 عاملا والتكوين المهني حضر 03 عمال من اصل 25 عاملا ، مصنع Lisieur حضر 15 عاملا من اصل 45 عاملا ، مؤسسة شنايدر Schneider اضرب كل عمالها ، مؤسسة Grisa حضر 08 عمال من مجموع 81 عاملا ، مؤسسة Panhard اضرب 107 عاملا من مجموع 110 عاملا ، شركة Citreon أضرب كل عمالها ونفس النسبة في شركة Shell و شركة Globe أي 100 % ، اما شركة Renault اضرب 86 عاملا وحضر 06 عمال فقط ، شركة Vinson اشتغل 14 عاملا من اصل 70 عاملا ، شركة Job للتبغ اضرب 223 عاملا من مجموع 224 عاملا ، شركة Bastos أضرب عن العمل 320 عاملا من اجمالي طاقمها 325 عاملا ، وفي مستشفى مصطفى باشا اضرب عن العمل 257 عاملا من مجموع الجزائريين العاملين فيه و البالغين 729 عاملا ، وفي مستشفى القطار أضرب 50 بالمائة من الجزائريين رغم التسخيرات التي منحت لهم عشية الاضراب ، وفي مؤسسة صندوق العلاوات العائلية اضرب 40 عاملا من اصل 43 عاملا ، قطاع البريد مسه الاضراب بنسبة 95 % ، عمال السكة الحديدية توقف عن العمل 45 من مجموع 84 عاملا و اضرب 80 % من معمال محطة قطار الجزائر وتوقف النشاط بالشركات البترولية كليا يوم الاضراب 100% و اضرب 90 % من عمال بلدية الجزائر ومصالحها الخارجية .وحتى المقاهي (Maures) والمطاعم والنوادي أغلقت هي الاخرى ابوابها بالكامل يوم الاضراب⁴³ . وفي ضواحي مدينة الجزائر ، سار الاضراب تقريبا بنفس الوتيرة ، خاصة اصحاب المحلات التجارية الذين التزموا ببناء الاضراب بنسبة 100% في الدار البيضاء والحراش وعين البنيان والاربعاء والدويرة وبرج الكيفان وامتدت الى عمال البلديات والعمال الزراعيين وعمال الجسور والمجاري بنسبة تتجاوز 60 % .

وفي غرب مدينة الجزائر ، في البلدة بلغت نسبة الاضراب درجة مرتفعة نوعا بين 90-100% بين التجار وسائقي الاجرة والسيارات الخاصة شملت المدن الملحقة بها مثل الشفة ، عفرون ، حجوط، تيبازة ، فوكة ، بوهارون ، القليعة ، شرشال ، بوفاريك ، صومعة ، بوينان ، قوراية ، وادي العلايق وفي مليانة وبومدفع اغلق التجار محلاتهم 100 % و 50 % من عمال البلدية ، في حين لا حدث في فيالار وثنية الحد وعين الدفلى .وفي الاصنام وتنس اغلق التجار جميع محلاتهم 100 % ، في حين نشط التجارة والسكان في العطاف وادي الفضة وبقاديير والعبادية والونشريس لاسباب تنظيمية وفي تاجنة 100 % والفلاحون 75 % والورشات 40 % وفي سكيكة اضرب 75 % من التجار و 100 % عمال الاشغال العمومية و 70 % من العمال الزراعيين .وفي مدينة تيزي وزو شهدت النسبة 100 % من الاضراب

ويشير التقرير ان المضربين الجزائريين يفضلون عقاب العدالة واجراءاتها الزجزية على مواجهة عقاب الجبهة الامر الذي جعلهم يلتزمون ببناء الاضراب والعصيان المدني⁴⁴ .
والتزاما بأوامر لجنة التنسيق والتنفيذ وتطبيقا لتوصيات ميثاق الصومام , اعدت المركزية الوطنية برنامجا ثوريا اخر للاضراب , بمناسبة الذكرى الثانية لاندلاع الثورة التحريرية 01-11-1956 , وردا على القرصنة الجوية للوفد الخارجي للثورة الجزائرية في 22-10-1956 , تحت شعار " يوم الوحدة والعمل " , و جاء في بيان الاضراب : معارضة الاستغلال والقمع والاحتلال في شمال افريقيا , وقد جاء عمال التراموي للنقل الحضري في طليعة الطبقة العاملة , مطالبين بحقوقهم الاجتماعية واحترام الحريات النقابية وفرض حل للقضية الجزائرية في اطار احترام الطموحات الوطنية للجزائريين , وشارك في الاضراب كلا من الاتحاد العام للعمال التونسيين (UGTT) الذي اضرب لمدة نصف والاتحاد المغربي للشغل (UMT) الذي اقر لمنخرطيه بالتبرع باجرة يوم عمل ,تضامنا مع المركزية الوطنية والشعب الجزائري في كفاحه ضد الاستعمار . وقد جاب العمال التونسيون شوارع تونس , سوس , باجة , القيروان , ماطر , الكاف , وبنزرت وغيرها من المدن التونسية , اما المغرب الاقصى فقد اكتفت مركزيته بالغاء المسيرات والتظاهر لاسباب امنية عللتها الظروف السياسية الخاصة التي يمر بها المغرب وتعويضها بالمبلغ الرمزي⁴⁵ .

وفي الجزائر لوحق المضربون من قبل القوات الامنية الفرنسية وتم توقيف العديد منهم في مليانة والجزائر ووهران في عملية مشتركة بين ارباب العمل والشرطة , وحدث عذا السلوك هلعا وقمعا لافتين , مما دفع بالمركزية الوطنية الى تجديد الاضراب يوم 13-11-1956 لمدة 24 ساعة , داعية عمال النقل الحضري لمقاطعة الجزائر (RDTA) ونقل مدينة الجزائر (TA) الى الامتناع عن العمل مرة اخرى , حيث شلت الحركة 100% , فاستعانت الادارة الاستعمارية بالاوربيين كالعادة لكسر الاضراب , الا انها لم تتمكن من افشاله كلية بسبب قوة تعداد العمالة الجزائرية المضربة في هذا القطاع الحساس , وهددت المركزية في بيان لها يوم 14-11-1956 الادارة الاستعمارية والباترونا انها ستدعو الى الاضراب مستقبلا ,كلما لاحظت خرقا للحرية النقابية ومسا بكرامة العمال الجزائريين⁴⁶ .

كما تجدد الاضراب في ديسمبر 1956 لمدة 48 ساعة من قبل عمال الترامواي والنقل الحضري , جراء السياسة التعسفية والقمية التي لحقت الطبقة العاملة في الاضراب السابق , في شهر نوفمبر 1956 (التسريح , التوقيفات , التعليق والخصم من الراتب) ثم تلتها سلسلة من الاضراب يوم 31-12-1956 بعد تشييع جنازة رئيس فدرالية رؤساء بلديات مدينة الجزائر Roger Froger في 29-12-1956 , حيث قام المستوطنون والشرطة بالاغتيالات العشوائية ضد الجزائريين⁴⁷ انتقاما لمقتله , مما دفع بالجزائريين بالرد على الاجرام الاستيطاني .

لقد شكل هذا الإضراب إمتحانا صعبا لإمكانيات المركزية ، في تحدي آلة القمع الفرنسية وتحصيل المطالب المرفوعة بأقل التكاليف والأضرار، وتحديا آخر في الحفاظ على تماسك العمال وتضامنهم في الإضرابات المقبلة ، خاصة بعد شيوع أخبار عن الاضطهاد والتعذيب الذي لحق العناصر الموقوفة خلال الإضراب وهو ما دفع بالمركزية الى معاودة الكرة بإعلان إضراب يوم 15-08-1956 لإطلاق سراح النقابيين المعتقلين⁴⁸ .

ردت الحكومة العامة على الإضراب الوطني بإجراءات عقابية ضد العمال المضربين ، كانت اثارها قاسية واليمة على العمال الجزائريين تخص تأخير دفع الأجور 03 أشهر متتالية وخصم 07 أيام من راتب العمال المساعدين و إلغاء منحة نهاية السنة و إيقاف آلاف العمال والموظفين تعسفيا ، اذ جاء في ارسالية للمفتش الرئيسي للعمل الى المدير العام للعمل واليد العاملة مؤرخة 11-07-1956، تذكر فيها ان شركة رينو Renault التي تشغل 92 عاملا جزائريا ، قد سرحت 59 عاملا ، حضر منهم 08 عمال فقط ، وغاب 25 منهم لأسباب مرضية أعلن عنها قبل الاضراب ، وعليه قام رئيس الشركة بتسوية رواتب المضربين ومنح عطلة وشطبهم نهائيا من العمل⁴⁹ . كما تم تسريح 41 عاملا في مؤسسة Ravin de la femme sauvage (تقع بين بئر مراد رايس ووادي كنيس) وتعليق رواتب 59 آخرين من اجمالي عدد العمال الجزائريين البالغ عددهم 110 عملا ، برر صاحب العمل تلك الاجراءات الزجرية ، بانه غيابهم غير مبرر وسبق ان حذرت ادارة الشركة عمالها مسبقا من مغبة المشاركة في الاضراب المقبل ، ولم تخلق تلك العقوبات ردود فعل فردية او جماعية⁵⁰ ويمكن تفسير عدم الاحتجاج من طرف العمال المعاقبين ، ان هؤلاء العمال لم خيارهم الدخول في اضراب عن قناعة نقابية ومطلبية وانما غاياته كانت سياسية بامتياز و تحت طائل الخوف من الردع والعقاب الذي يمكن ان يسلط عليهم من جانب النظام الثوري الذي فرضته الجبهة على الفئات المهنية .

نظرا لمأساة هؤلاء العمال الغلابي وما يترتب عن تسريح مئات منهم على أسرهم ، في حياتهم المعيشية التي ستزداد سوءا ، بادرت هيئة الشباب العمالي المسيحي الفرنسي (JOCF) - فرع الشباب برئاسة Jose Blasco و فرع النساء برئاسة Odile Kerdravat - بمراسلة قائد شرطة مدينة الجزائر فرانسوا كولافري (François Collavry) في 12-07-1956 ، بشأن اضراب 05-07-1956 ، معلنان بانهما لا يناقشان المسألة من زاوية شرعية الاضراب ، وانما ما يترتب عن تسريح العمال من مخاطر معيشية وسط العائلات الجزائرية وفي بعض الحالات تم تسجيل انتقام ارباب العمل من تسريح لبعضهم وتعليق مؤقت للبعض الآخر ، واحيانا الخصم من العلاوات ومنحة نهاية السنة وتنزيلهم من رتبهم ، ، وتسجل هذه الاجراءات فصلا بين الجزائريين والاوربيين وتوسيع اكثر للهوة ونحن نسعى لاجل حياة افضل للطبقة العاملة . وجاء رد قائد الشرطة في 23-07-1956 بأنه يثمن تضامنهم الانساني مع المضربين الذين مستهم الاجراءات العقابية ، ومادام الاضراب غير شرعي فانه لا يمكن ان

يبقى دون عقاب ويضيف قائد الشرطة " نتفهم حرصكم بعد المساس بالمجتمع لكن اغلبية الجزائريين التزموا بقرار الاضراب ، خوفا من التهديدات اكثر من الالتزام بأوامر جبهة التحرير التي رفضت تحمل مسؤولياتهم " واردف بشأن الحالات التي حدث فيها تجاوز من قبل ارباب العمل ، فإن قائد الشرطة "وعد بدراستها حالة بحالة للوصول الى حل عادل وتجنب اسره من شبح البطالة"⁵¹.

وردا على هذه الاجراءات القمعية ، اوفدت المركزية الوطنية فريقا من النقابيين، لملاقاة روبرت لاکوست ، وإبلاغه إحتجاجها الشديد على الإجراءات المتخذة في حق العمال غداة الإضراب ومطالبته باصلاح زراعي حقيقي وحماية اجر أدنى وطني مضمون ، واحترام الحريات الديمقراطية .وتحرير كل قادة المركزية النقابية وكل العمال الموقوفين تعسفيا⁵². ولأن جبهة التحرير الوطني ومن خلال المركزية الوطنية ، لم تراهن كثيرا على تجاوب لاکوست مع مطالب الجزائريين ، فانها في ذات راهنت بقوة على إستحقاق مصيري للإنضمام الى الكونفدرالية العالمية للنقابات الحرة (CISL) ، ولا بد من قاعدة مهنية واسعة تتفاعل مع القضية العمالية والقضية الجزائرية ، حيث سافرت بعثة عن المركزية قبيل اعلان الاضراب إلى بروكسل لحضور مناقشة مسألة إنضمام المركزية الوطنية إلى الكونفدرالية الدولية للنقابات الحرة CISL ، في اجتماع لجنتها التنفيذية من 02-07 جويلية 1956 للنظر في طلب الانضمام اليها⁵³.

3- الانخراط في الكونفدرالية الدولية للنقابات الحرة CISL :

نظرا للطبيعة العدائية لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية ضد الشيوعية ، انسجمت الكونفدرالية الدولية للنقابات الحرة مع مسعى معاداة ومحاربة الشيوعية في شمال افريقيا في كل المجالات ، واقدمت على دعم مسعى انشاء مركزية نقابية جزائرية رغم معارضة الكونفدرالية العامة للشغل (CGT) ونقابة القوة العاملة (FO) ، استطاعت الكونفدرالية الدولية للنقابات الحرة تحقيق هدفها ، اذ صادقت في مؤتمرها بستوكهولم جويلية 1953 على قرار يقضي بمساعدة الطبقة العاملة بشكل فعال لانشاء نقابات في البلدان الخاضعة للاستعمار والتي تقود حربا تحررية ونقابية ولا توجد بها نقابات⁵⁴ وقدمت لحسين لحول ما قيمته 40 مليون فرنك ؟ بغرض انشاء نقابة ونظرا لغياب الاطارات النقابية وللصراع الداخلي داخل الحركة توقف المشروع مؤقتا ، لتطرحه الكونفدرالية الدولية مرة اخرى في مؤتمرها الرابع بفيينا (النمسا) 20-28 ماي 1955 ، حيث اوصت بدعم الحركات النقابية في المناطق الفقيرة لانشاء نقابة في الجزائر لاعتراض فدرالية النقابات الدولية (FSM) الشيوعية كما فعلت مع تونس والمغرب ، وجرت في هذه الاثناء ، مراسلات بين مولاي مرياح وممثل الكونفدرالية الدولية في الجزائر لانشاء اتحاد نقابي شمال افريقي بعيد عن الكونفدرالية العامة للشغل والتحضير للانخراط في الكونفدرالية الدولية⁵⁵. واخذت ترعى اتصالات شاملة مع الوطنيين في الجزائر طيلة سنة 1955 وأبعدت عن مشروعها النقابة الشيوعية الجزائرية (الاتحاد العام للنقابات الجزائرية UGSA) .

في ديسمبر 1955 ، سافر عبد القادر قناطري (نقابي في CGT بالميناء) الى باريس لملاقة ممثل الكونفدرالية الدولية Liniger وربط علاقات مع المنشقين عن الكونفدرالية العامة للشغل مثل محمد مادا (المناجم) ، عبد القادر غرمول (البريد) ، لانشاء مركزية مستقلة ومرتبطة بالكونفدرالية الدولية ، وبمناسبة مرور Jay Krane بالجزائر في جولة شمال افريقية (امريكي مسؤول النشاطات القطاعية الجهوية في CISL) ، اعلن الجزائريون (المصاليون) عن ميلاد نقابتهم اتحاد نقابات العمال الجزائريين (USTA) برئاسة محند رمضان ، في 14-02-1956 وقدموا طلبا للانخراط في CISL بواسطة أحمد العفري بباريس (المدعو طويل ، من مواليد 1913 في قرقور بقسنطينة) وبعدها قدم الامين الاداري في الكونفدرالية الدولية السيد Nebot المقيم في بروكسل لمساعدة نقابة المصاليين في ايداع ملف اعتمادها بالبلدية وتهيئة المقرات وتحديد مقرها الرئيسي في 7 شارع جنينة ، مدينة الجزائر⁵⁶.

امام هذه الخطوة المفاجئة من المصاليين ، سارعت جبهة التحرير الى الاتصال بالنقابيين الجزائريين في الكونفدرالية العامة للشغل لقطع الطريق على المصالية للانخراط في CISL وانشاء نقابة موازية ، حيث تلقت مبلغا معتبرا من النقابة الدولية واعلنت ميلاد " الاتحاد العام للعمال الجزائريين UGTA " في 24-02-1956 ، مقرها 9 شارع لافيجري حيث مقر الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري ، بقيادة عيسات ايدر⁵⁷.

امام هذا الواقع الجديد في الساحة النقابية بالجزائر ، بدأ الصراع يشتد بين المركزيتين الوطنيتين من جهة وبين النقابات الفرنسية التقليدية المعارضة لها من جهة اخرى ، حول مسألة انخراط المركزيتين الجزائريتين في الكونفدرالية الدولية للنقابات الحرة CISL ، وبدأ ينكشف وجه الصراع الايديولوجي بين المعسكرين ينطلي على واقع الجزائري النقابي و السياسي . فاذا كان مسعى الكونفدرالية الدولية يدعو الى توحيد المركزيات الجزائرية في مركزية واحدة قد باء بالفشل ، بسبب التباين السياسي الواضح بين الحركة المصالية وجبهة التحرير الوطني ، فان الامر افرح السلطات الفرنسية كثيرا ، وسعت الى تفكيك الجزائريين نقابيا وسياسيا ، ولا ترغب في وجود مركزية وطنية موحدة ، بناء على تجربتها في تونس والمغرب ، حيث حمل الفرنسيون Irving Brown المسؤولية في تشكيل جبهة نقابية في شمال افريقيا ، فقرر الحاكم العام روبيرت لاكوست منعه من دخول الجزائر وقدمت السلطات الفرنسية احتجاجا الى السلطات الامريكية ، تعاتبها فيه على نشاط رعيتهما في الجزائر ، الا ان السلطات الامريكية نفت عنه صفة الرسمية وانها غير مسؤولة على افكاره وافعاله وان نشاطات المركزية الوطنية لاتعنيها اطلاقا⁵⁸.

في يوم 09-10-11 افريل 1956 ، اجتمعت لجنة مصغرة لـ CISL في بروكسل ، لارسال وفود للتحقيق في مسألة التمثيل العمالي للنقابة المصالية (USTA) -بحكم انها سباقة في الميلاد وتقديم طلب الانضمام- في الجزائر وفرنسا ، وجمع المعطيات لدراستها وتقييمها ودمج المركزيتين الوطنيتين لانشاء مركزية وطنية واحدة تنضم الى الكونفدرالية الدولية ، الا ان قرار منع Irving Brown من دخول الجزائر

حال دون ذلك ، وشكل ذلك بداية عاثرة للنقابة المصالية في الجزائر ، ومؤشر ايجابي لصالح جبهة التحرير لانخراط مركزيتها في CISL⁵⁹.

لم يتأخر عيسات إيدر في إرسال مولود قايد⁶⁰ الى باريس للقاء أحمد بن صالح عن طريق محمد صالح الونشي وأحمد طالب الابراهيم الذي قدمه الى الكاتب العام للاتحاد العام للعمال التونسيين، السيد أحمد بن صالح ، ودار الحوار حول إمكانية مساعدة النقابة التونسية، المركزية الوطنية للانضمام الى النقابة الدولية التي ستطلق بها أشغال لجنتها التنفيذية من 02 الى 09 جويلية 1956، إلا أن هذا الأخير لم يكن ملما بالأوضاع السياسية بالجزائر وطبيعة الصراع القائم بين جبهة التحرير والحركة الوطنية المصالية ، مما جعله يقترح على محاوريه دمج النقابيتين في نقابة واحدة تحت مسمى " الاتحاد الوطني للعمال الجزائريين " ، وعندئذ ستلقون المساعدة داخل مركزية واحدة . وإنتهى اللقاء بين الأطراف الثلاث على أمل استشارة قيادتيهما⁶¹، وهو الأمر الذي حصل لدى النقابيين المصاليين بالموافقة على الوحدة النقابية من طرف أمين عام النقابة المصالية عبد الرحمن بن سيد ، أما وفد الجبهة فلم يكن بمقدوره الاتصال بالجزائر⁶² ، وتشاور أعضاء البعثة فيما بينهم وقرروا رفض الدمج⁶³ ، بسرد وقائع هامة منها أن النقابة المصالية غير موجودة بالجزائر ويظهر ذلك في الإضراب الذي دعت إليه الجبهة في 05-07-1956 وتحقيق ممثلي الإتحاد العام للعمال الجزائريين إنتصارا ساحقا على النقابة المصالية في إنتخابات أعضاء مؤسسة النقل الحضري بمدينة الجزائر التي بلغ تعدادها أكثر من 100.000 منخرط⁶⁴ ، وفي المقابل رفض ممثلو النقابة المصالية فكرة الوحدة النقابية كرد على ممثلي UGTA في 03-07-1956⁶⁵ .

وفي هذه الأثناء إشتدت الكولسة والاتصالات بين وفد UGTA وممثلي النقابات التونسية والمغربية والليبية لمواجهة خصوم الإتحاد في اللجنة وهما CGT وFO⁶⁶ ، مما جعل احمد بن صالح يتراجع عن مقترحه الزامي الى الوحدة النقابية في 06-07-1956 ويدعو النقابة المصالية الى حل نفسها والدخول كفرع في UGTA⁶⁷ ويظهر لنا التحول في موقف أحمد بن صالح مدى قوة ممثلي الإتحاد في ربط علاقة مع النقابات التونسية والمغربية وقوة إقناع أعضاء اللجنة التنفيذية ، لأن الملف كان مؤسسا و مستوفيا للشروط الأساسية للانخراط و بناء على قواعد التمثيل النقابي ، الشيء الذي أغضب النقابة المصالية وردت على أحمد بن صالح وجبهة التحرير الوطني بالقول : " ندعو UGTA الى الوحدة النقابية بعيدا عن التشكيلات السياسية وإجراء حوار موسع بين المناضلين والمسؤولين ونرفض الديكتاتورية بكل أشكالها ولكل من يتحدث بإسم نقابتنا ولو كان أحمد بن صالح⁶⁸ .

وصرح الأمين العام لـ: CISL " ما هي نقابة USTA؟ مركزية وطنية في فرنسا ؟ في هذه الحال هي ضد كل القوانين والتقاليد النقابية الفرنسية ، فهي مرتبطة بمجموعة خاصة وبالتالي فهي نقابة عنصرية ، وهي نقابة وطنية بالجزائر ونشاطها بفرنسا ، وهذا الامر ضد تقاليد حركتنا التي تطلب من

كل عامل أجنبي بأن ينخرط في الحركة النقابية الموجودة بالبلد الذي يعمل فيه ، وأعرف أن هذا يطرح للعامل الجزائري مأزق صعب ... يتسوا من CGT التي تخدم مصلحتها وأصبح مفهوما أن يلجأوا الى الإنخراط في نقابة القوة العمالية بسبب موقف هذه الأخيرة من الجزائر⁶⁹ وجاء ذلك ردا على الإحباط والتخبط الذي عرفته النقابة المصالية في فشل مسعاها في الانضمام الى CISL ، وهي إحدى النقائص القانونية التي لم ينتبه إليها المصاليون في إعداد ملف ترشحها للانضمام الى الكونفدرالية الدولية ، خاصة وان جبهة التحرير وجهت تعليمات صارمة وتهديدات الى العمال الجزائريين في الجزائر بعدم الانخراط في النقابة المصالية ، الامر الذي افقدها شرطا مهما في قبول عضويتها وميدانا قويا في النشاط السياسي للحركة المصالية⁷⁰.

وحسب تقرير صادر عن مصلحة التوثيق الخارجي والجوسسة المضادة مؤرخة 17-07-1956 أن مسار قبول عضوية UGTA في CISL ، تم بتظافر جهود ثلاث أشخاص هم : قايد مولود المدعو رشيد بن عبد العزيز وأحمد بن صالح (أمين عام UGTT) وأرفينغ براون Irving Brown النقابي الامريكي مندوب لدى أوروبا) ، بحيث قام مولود قايد (رشيد بن عبد العزيز) بلقاءات مكثفة يوم 29-06-1956 مع ممثل UGTT السيد شلي في CISL ومع ممثل أبوليم بن طيب ممثل UMT ومع أحمد بن صالح الذي وصل بروكسل 02-07-1956 ، ونسق هؤلاء العناصر الثلاثة فيما بينهم العملية برفض عضوية النقابة المصالية، وقبول عضوية UGTA ، وفي صبيحة 06-07-1956 ، تم إقرار دراسة المسألة الجزائرية من قبل اللجنة التنفيذية لمدة تجاوزت ثلاث ساعات، وبنقاش حاد ، خلص في النهاية الى رفض إنضمام النقابة المصالية بالإجماع تقريبا لضعف تواجدها بالجزائر و مر ترشح UGTA بثلاث مراحل للتصويت:

- 1- التصويت الأول : دراسة ملف الترشيح أو تأجيله وكانت الأصوات متساوية 9-9 وإمتناع عضوين .
- 2- التصويت الثاني : القبول بالعضوية مبدئيا مع إرسال بعثة الى الجزائر وفي حال رفضت فرنسا ذلك يبقى صوت Oldenbroeck هو الداعم للعضوية وكانت النتيجة متساوية 10-10⁷¹.
- 3- التصويت الثالث : أخذ أحمد بن صالح الكلمة محدثا بلبله : " إذا لم تقبل عضوية UGTA فانه يهدد بالإنخراط في FSM وأن إ.ع.ت. (UGTT) و إ.ع.م (UMT) سيعيدان النظر في عضويتها في CISL " . وكانت نتائج التصويت 16 صوت : نعم و صوتان : لا (ممثل بلجيكا Major) وإمتناع صوت واحد (R.Bothereau) الأمين العام لـ: FO⁷².

وعبرت القوة العمالية عن اسفها لموافقة الكونفدرالية الدولية على قبول عضوية مركزية جبهة التحرير ، وفقدان لشخصية نقابية مثل لأكوست الذي يمتاز بخبرة فريدة في ادارة الشأن النقابي والعمالي وان مسؤولية السلطات الفرنسية تركز على المعطى السياسي فقط ونسيان دروس تونس والمغرب وتحمل الحكومات الفرنسية المسؤولية لانها اهملت نشاط النقابة ولم تدعمها ماليا ومعنويا ولو كان غير ذلك

لاستطاعت استمالة الجزائريين اليها وابعادهم عن الكونفدرالية العامة للشغل كما انها لا ترغب مغادرة الجزائريين بالاستقلال عما فعلت CGT .

اما الاتحاد النقابي للعمال الجزائريين UGSA الشيوعية ، فقد سارعت منذ نشأة الاتحاد العام للعمال الجزائريين ، الى تشجيع مساعي تشكيل نقابة واحدة من خلال تبادل رسائل عديدة بين الجانبين سنة 1956:

UGSA-1: 29 فيفري ، 13 مارس ، 29 مارس ، 07 جوان .رفض انشاء نقابتين لانه يقسم الحركة العمالية لصالح الاستعمار والامبريالية والدعوة الى انشاء مركزية وطنية واحدة .

UGTA-2 : 07 مارس ، 24 مارس ، بداية جوان .

المركزية الوطنية موجودة في الجزائر ولا مجال لبقاء الكونفدرالية العامة للشغل وعليها بحل نفسها وانخراط اعضائها دون تمييز⁷³.

وتناولت جرائد Franc Tireur و Journal d'Alger ليوم 09-07-1956 قضية انضمام الاتحاد العام للعمال الجزائريين الى الكونفدرالية الدولية للنقابات الحرة ، على أساس قاعدة التمثيل العمالي ورفضت عضوية USTA ، لأن أغلب أعضائها منخرطين في النقابات الناشطة بفرنسا ، ودانت CISL بشدة توقيف المسؤولين النقابيين مطالبة بإطلاق سراحهم وأن أمينها العام سيقدم شكوى ضد الحكومة الفرنسية الى مكتب العمل الدولي بدعوى خرقها للحقوق النقابية وسمحت CISL لأمينها العام Oldenbroeck بإستعمال أموالها لصالح عائلات النقابيين الموقوفين ، وطالبت بفتح مفاوضات مباشرة مع الممثلين الحقيقيين للشعب الجزائري ، ووضع حد للقتال في الجزائر والاعتراف بحق الجزائريين في تقرير مصيرهم على قاعدة الإعراف المتبادل بضرورة تحديد الوضع المقبل للجزائر ، في إطار دستور ديمقراطي وضمانات كافية في المساواة في الحقوق لكل سكان الجزائر⁷⁴.

الخاتمة :

ماذا استفادت جبهة التحرير الوطني من انخراط مركزيتها النقابية في CISL مبكرا دون الانضمام الى فدرالية النقابات العالمية ؟ هذا السؤال الجوهرى يجرنا الى الكشف عن الغايات المستهدفة من انضمام المركزية الوطنية مبكرا الى الكونفدرالية الدولية للنقابات الحرة دون الاخرى الشيوعية ، وتأثير ذلك على تدويل القضية الجزائرية ، بحيث لم يغيب عن قيادة جبهة التحرير الوطني معطى الحرب الباردة في الحسبان والتحرك الدبلوماسي فيما يخص مسألة إنضمام المركزية الوطنية الى CISL ذات الميول الغربية (الرأسمالية) دون FSM ذات التوجه الشيوعي ، لتصحيح المفاهيم الخاطئة لدى المعسكر الراسمالي ، والتهم الجاهزة التي تروجها النقابات الفرنسية والسلطات الرسمية حول ايديولوجية الكفاح

الوطني الدائر في الجزائر وتوضيح المنهج السياسي التحرري للثورة الجزائرية للحلفاء الطبيعيين والدول المحبة للسلام ، لتحقيق الغايات التالية :

1- دحض زعم فرنسا بأن المركزية الوطنية شيوعية ، معتمدة دعاية نقابة القوة العمالية التي اخذت تشهر بها في المحافل الدولية ومنعها من الانضمام الى CISL و محاولات ضم النقابة المصالية اليها وعرقلة ميلاد مركزية وطنية جزائرية بعيدة عن هيمنة الفرنسيين .

2- تأييد فدرالية النقابات العالمية (FSM) لإستقلال الجزائر والانضمام إليها لا يزيد الجزائر والمركزية الوطنية شيئا جديدا ، والانضمام الى CISL يدخلها الى مضمار الدول المعادية لاستقلال الجزائر، وهذا يتوقف على إستعداد وقدرة المركزية على دحض دعاوى فرنسا وإقناع الغرب بالرؤية الجزائرية لحل الأزمة وإستغلال التناقضات بين والمعسكرين وداخل المعسكر الواحد .

3- وجود نقابتين مغاربتين هما : الإتحاد العام للعمال التونسيين والإتحاد المغربي للشغل يتطلب تشكيل جبهة مغاربية موحدة للإسهام في التحرير المغربي الشامل .

4- معرفة النقابيين الجزائريين بتاريخ المركزية التونسية الذي قدم طلب الانضمام الى FSM الشيوعية ولم يرد على طلبها إلا بعد سنتين لقبول عضويتها بحكم البيروقراطية التي تطبع معاملاتها مع النقابات الوطنية في حين قبلت عضويتها في CISL بسرعة ، لذا إتخذ هؤلاء النقابة التونسية نموذجا لهم وليس بمقدور الإتحاد الانتظار أكثر .

5- دحض إفتراءات نقابة القوة العمالية القريبة من Guy Mollet وتبيان حقيقتها داخل CISL ، و فضحها حول مزاعمها بأنها إمتداد طبيعي لـ: CISL في المستعمرات الفرنسية ⁷⁵ ، وتدعو النقابة الدولية الى طلب الإذن من النقابات العضوة أو ذات الصلة ، وطلب رأيها في ملف العضوية للأعضاء المترشحين ⁷⁶ ووصفت قبول عضوية المركزية الوطنية في CISL "بالخطأ التاريخي" ⁷⁷ .

7- وجود نقابة الكونفدرالية العامة للشغل عضوا في FSM التي عهدا العمال الجزائريون على المناورات وبيع قضايا العمال في سوق السياسة الدولية ورهن مصيرهم بالإيديولوجيا ⁷⁸ ، دفعت الجزائريين الى القناعة بأنه لا جدوى من الركض وراء باعة السراب ، الذين عهدهم الشعب الجزائري خلال العقد الثالث والرابع وبداية الخامس من القرن العشرين ، بالمناورة والتهرب من معالجة جذرية عادلة لواقع الجزائريين .

8- سارعت الجبهة الى هيكلية الطبقة العاملة والمهنية والحرفية واستخدامها في طاقات الثورة ، أولا : هو احتواء هذه الشريحة المهمة وإبعادها عن المصالية التي ادركت القيمة الاضافية للمركزية الوطنية في الدعم السياسي والعسكري للثورة ، وثانيا : ان المركزية الوطنية محمية بقوانين مهنية ومن حقها الاضراب وتعليق العمل احتجاجا على الظروف المهنية والاجتماعية كغطاء لمطالب سياسية ، بأمر من جبهة التحرير لخلق الارتباك .

9-قوة الطبقة العاملة في تعطيل الالة الانتاجية والخدمية للاقتصاد الاستيطاني العام والخاص وتكبيده خسائر مالية يومية ، لاختضاع ارباب العمل ومدراء الشركات لمطالب الجزائريين ، عكس بقية عناصر الشريحة الاجتماعية كالتجار والحرفيين الذين يتأثروا مباشرة بالاضراب بغلق محلاتهم دون حماية قانونية تكفل لهم الدفاع عن مصالحهم

10-اقحام الجبهة لشرائح المجتمع في العمل الثوري وتعرضه للمواجهة مع الخصم ، لاحداث القطيعة النهائية بين المجتمعين وبداية الحرب الحقيقية ، لاقشال التوجه الاصلاحي والادماجي المعلن عنه من جديد .

11-تفضيل جبهة التحرير المواجهة مع فرنسا الاستعمارية داخل المدن، بكل عناصر المجتمع المهنية وغير المهنية ، لتصوير فظاعة القمع والتعذيب الفرنسيين تجاه الشعب الجزائري ، لكسب التضامن والتأييد الدولي للقضية الجزائرية والادانة والاستنكار للدولة الفرنسية الاستعمارية ، ولا يتأتى ذلك الا بوجود قناة دولية تكشف الجرائم الفرنسية في الجزائر ، ألا وهي الكونفدرالية الدولية للنقابات الحرة .

12-عمقت الاضرابات الثورية ، الغبن والقهر الاجتماعي للجزائريين وكلفهم الغالي والنفيس ، من الالتزامات الدوية بأوامر الجبهة في اعلان الاضراب الثوري والعصيان المدني ، وان تكرر التجربة المرة على الطبقة المسحوقة في المحطات القادمة ، يجعل التضامن يتصدع والتكافل يتلاشى والصبر ينفد ، مالم تعالج الحاجات الماسة بحكمة وتبصر للعائلات التي طالها القمع والخصاصة .

وفي الاخير يمكننا اعتبار المركزية الوطنية، الهيئة الوطنية الأولى التي نالت السبق في الدخول الى الساحة الدولية عن بقية مؤسسات وهياكل جبهة التحرير الوطني ، والنافذة الأولى التي فتحها الرعيل الأول من النقابيين الوطنيين على العالم الغربي لإيصال صوت الجزائر المكافحة وتقنيد الادعاءات الفرنسية وعملاؤها داخل CISL ، وإختراق جدار الصمت الذي تتمترس وراءه فرنسا الإستعمارية ، وكشف الجرائم الفرنسية في الجزائر والمهجر ، اذ استطاعت ان تلعب وتصور وتنقل المشهد الدرامي لكفاح الجزائريين في نشاطها النقابي والدبلوماسي في آن واحد ، عكس بقية الهياكل السياسية والمهنية التي اقتصرت وظيفتها على التفاعل مع محطة من محطات الحدث الثوري .

حاضرا مع بن خدة) والذي بدوره إقترح التشكيلة السابقة وأن الجبهة كانت تعرف البعض دون الآخر ولم تكن على إستعداد لتغامر بتنظيم الإتحاد وفق عناصر لا تعرف خطهم السياسي في وقت تزايدت عليهم الهجمة الفرنسية من كل جانب .
²¹ عبد المجيد بيرم , نضال الاتحاد العام للعمال الجزائريين خلال فترة 1956-1957 لمواجهة سياسة لاكوست , حوار مع المناضل محمد فليسي, مجلة الثورة والعمل(من تاريخ الحركة النقابية الجزائرية) , ط1, الجزائر, 1989 , ص 47 .
²² نفسه , ص 49 .

²³ Benyoucef Benkhedda , UGTA et le rôle de Aissat Idir ,in Quotidien d'Algérie , 04-05-2011 , p 06 .

²⁴ Boualem Bourouiba, op cit , p 69 .

²⁵ عبد المجيد بيرم , مرجع سابق , ص 49 .

²⁶ يشير تقرير محافظة الشرطة المركزية بتاريخ 01-07-1956 الى ان سبب الانفجار ناتج عن تسرب الغاز وان رائحته الخانقة كانت محل علم مصالح الغاز والكهرباء واحتمال رمي قنبلة من خارج المبنى او ان احد الحاضرين كان يهم بتحضير قنبلة وهي اتهامات مسبقة ورفع الحرج عن الحكومة العامة . انظر : CAOM,41/16

²⁷ هؤلاء الموقوفين هم : مصطفى لعسل , محمد فليسي , رايح جفال , شيبوني عبد القادر بن براهيم , حرموش علي بن رايح , شتوان صالح بن العربي , قري علي بن محمد , عياش محمد بن حسان , العيمش سليمان بن سعيد , عبد الرحمان علي بن محمد , حماني محمد بن سعيد ,برنام عمار بن عمار , قاشوش محمد بن جلول , أو كاف محمد بن صغبر , طالبي محمد بن طاهر , بلقادر عمار بن عباس , خروش حسان بن عمور واستنطقتهم الشرطة القضائية والاستعلامات العامة . انظر: الملحق رقم 74 الخاص بتفجير مقر الاتحاد العام للعمال الجزائريين .

²⁸ ولد في 29 مارس 1929 بالعاصمة أب لثلاثة أطفال , معلم وأمين عام إ.ع.ع.ج وعضو اللجنة التنفيذية واحد محرري بيان إضراب 05-07-1956 مكلف بجمع المال لصندوق التمدد للمعتقلين قبض عليه في 30-06-1956 بعد

انفجار مقر المركزية .انظر: . Caom gouvernement d'Algérie 7G/1106

²⁹ ولد 23-07-1932 بشرشال , امين في المركزية النقابية واللجنة التنفيذية من مقرري كتابة بيان الإضراب 05-07-1956 .انظر: . Caom, UGTA en Algérie, 7G/1106

³⁰ CAOM , UGTA en Algérie, 7G/ 1106 .

³¹ محمد فارس , مصدر سابق , ص 149 .

³² Boualem Bourouiba , op cit , p 300 .

³³ محمود آيت مدور , مرجع سابق , ص 94 .

³⁴ ولد في بومرداس 1910 زاول دراسته الابتدائية بمسقط رأسه وعمل بشركة الترامواي بالعاصمة 1931 وبدأ نشاطه النقابي في CGT وانخرط في الحزب الشيوعي الجزائري حتى 1946 , كان مسؤولا قياديا في الاتحاد الولائي لعمال الجزائر وعضو في لجنة التنسيق ما بين النقابات الكونفدرالية وعندما تأسس الاتحاد العام لنقابات الجزائر في جوان 1954 أصبح عضوا فيه ثم بدا ميالا للاستقلال النقابي ليصبح عضوا في إ.ع.ع.ج 1956 وقبض عليه في افريل 1956 وسجن الى غاية 1957 ثم اعدم 1958 . انظر:محمد قناناش , النقابيون الجزائريون والمسألة الوطنية 1946-1956 , رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر , جامعة وهران كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية , قسم التاريخ وعلم الآثار , إ/ د ابراهيم مهديد , 2011-2012 , ص 381 .

³⁵ CAOM ,UGTA , 3F/120 .

³⁶ Jacques Simon , Algérie, le passé , l'Algérie française, la révolution 1954-1962 , Harmattan , 2007 , p 354 .

³⁷ CAOM, 3F-115

³⁸ CAOM,UGTA en Algérie 1957-1961 , 7/G1106 .

³⁹ Mohamed Fares , op cit , p 93 .

⁴⁰ CAOM ,UGTA en Algérie 7G/1105 .

⁴¹ ترى الشرطة الفرنسية انه إذا ما توسعت قاعدة المركزية فإنه ستكون خارجة عن السيطرة تماما، في حين لم يضرب عاملا واحدا في نفس المدينة في قطاع الجسور والقنوات .

⁴² CAOM, 1k/1237 .

⁴³ Ibid .

⁴⁴ CAOM,1k /1237

⁴⁵ CAOM,3F /115

⁴⁶ Ibid

⁴⁷ CAOM,4I/16 .

⁴⁸ محمود آيت مدور , مرجع سابق , ص 95 .

⁴⁹ CAOM,1k/ 1237 .

⁵⁰ CAOM, 1K/1237 .

⁵¹ Ibid .

⁵² Boualem Bourouiba , op cit , p 271 .

⁵³ محمد فارس , مصدر سابق , ص 150 .

⁵⁴ 1H/ 1722

⁵⁵ CAOM , 4I/16

⁵⁶ CAOM, 4I/16

⁵⁷ CAOM , 4I/16

⁵⁸ SHAT, 1H/1722 .

⁵⁹ CAOM ,Dossier historique de l'UGTA , 7/G1106 .

⁶⁰ ولد 1916-01-20 في بني ورتيلان (سطيف) معلم ثم مدير مدرسة , انضم الى النقابة الوطنية للمعلمين وتولى مائة النقابة داخل CGT. في برج بوعريج 1946-1949 , وعضو حركة احباب البيان والحرية 1945-1946 وانخرط في الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري وشار في اللقاء التحضيري لميلاد UGTA انضم الى الجبهة 1954 وعين عضوا في الامانة الوطنية الثانية للاتحاد وبعدها دخل تونس واتصل هناك بمحمود بن عز الدين (إ.ع.ت) ومع احمد بن صالح , كلف بالاشراف على ملف انضمام الاتحاد الى النقابة الدولية رفقة رحمون دكار وشاركا في اشغال اللجنة المكلفة بالملف في بروكسل وهناك وجها معارضة النقابة المصالية والقوة العمالية وبعد ثمانية ايام من النقاش حصل الاتحاد على العضوية بمساندة الاتحاد المغربي للشغل والنقابات الليبية وإ.ع.ت ثم استدعي الى التعاون مع المصالح الادارية للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية بين 1958-1962 وعين عضوا في البرلمان الاول للجزائر ومارس بعدها مهام التعليم . أنظر : René Gallissot, Algérie, engagement , op cit , p 297 et voir aussi Mohamed Fares , Aissat Idir, op cit,p75.

⁶¹ محمد فارس , مصدر سابق , ص 164 .

⁶² لا يمكننا تأكيد ما اذا كان وفد UGTA. حاول الاتصال بالقيادة في الجزائر ام لا وحسب الوقائع السابقة نرجح ان جبهة التحرير لم تكن لها نية في التحالف . مع الحركة المصالية من خلال الاتصالات التي جرت في السداسي الثاني من 1955

وظلت العبارة الواردة في نداء أول نوفمبر 1954 حول الحركات الاجتماعية والسياسية بحل نفسها والالتحاق بالكفاح المسلح دون اعتبار آخر ظلت هي القاعدة للتعامل مع الذين تخلفوا عن تفجير الثورة .

⁶³ Boualem Bourouiba , op cit , p 348 .

⁶⁴ ظلت الأرقام الإحصائية التي قدمتها المركزية الوطنية ، محل شك من قبل السلطات الفرنسية في الجزائر . وترى بانها مضخمة ومبالغ فيها وان الهدف من ذلك هو الانضمام الى CISL على حساب النقابة المصالية والواقع انها لم يتعد منخرطها 20 ألف موزعلى 86 نقابة : 58 في الجزائر و27 في وهران و01 في قسنطينة . أ،ظر : CAOM, 1H/ 1722

⁶⁵ Mohamed Harbi , Les archives de la revolution algerienne , ed/jeune afrique , algerie, 2003, p 156 .

⁶⁶ Boualem Bourouiba , op cit , p 348 .

⁶⁷ Mohamed Harbi , op cit , p 156 .

⁶⁸ Ibid , p 157 .

⁶⁹ Benjamin Stora , Ils venaient d'Algérie, l'immigration algérienne en France 1912-1992 , édition Fayard , 1992 , p 228 .

⁷⁰ CAOM, 1H/1722

⁷¹ CAOM, UGTA en Algerie, 7G/ 1106 .

⁷² Ibid .

⁷³ CAOM, 1H/1722

⁷⁴ Franc Tireur , La CISL accepte l'adhésion de l'UGTA, 09-07-1956 .

⁷⁵ Boualem Bourouiba , op cit , p 254 .

⁷⁶ François Weiss , op cit , p 38 .

⁷⁷ Khalfa Mameri , Abane Ramdane , héros de la guerre d'Algérie , Rahma, Alger, 1992 , p 184 .

⁷⁸ Le Monde , Une nouvelle centrale syndicale se constitue en Algérie, 03-03-1956 .